

شخصيات إسلامية

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وماولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب مأرى ؟.

وكأنما كانت كلماته كماء بارد سكب على وعاء ساخن فردّه إلى اعتدال وإذا بالخليفة عمر يستعيد كلماته مرة أخرى وكأنما عادت إليه رويته التي استلبها الغضب منه حيناً ، ولما سمعها مرة أخرى عجب لابنه ألا يأخذه الغضب ؟! وطبيعة الناصح الأمين ، الصادق في نصحه ، أن ياتمر بما يدعو إليه الناس ، وأن تكون خلاله صورة عملية لما يلهج به من فضائل يشها بلسانه بثاً ، وينشرها بعمله نشرأ ، وماكان عبد الملك إلا ذلك الناصح الصادق ، إذ قال لأبيه :

(ماتغني سعة جوفي إن لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه) حق ذلك والله ؛ فإن جوف الإنسان إن لم يسع غضبه المتأجج يردده فيه حتى يذهب عنه ، فقد أعان الشيطان على

يقال : إن الولد سر أبيه .. ولعل أصدق مثال على ذلك ماكان من ذلك الفتى القرشي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، ابن الخليفة الراشد الخامس الذي لاتخفى أخباره على أحد من المسلمين ، فهو العدل في حكمه ، الورع في عدله ، التقى في نفسه ، فنعم المرشد كان لأمه ..

وعبد الملك كان — كأبيه — تقياً ورعاً ، لا يخشى في الحق لومة لائم ولو كان أباه الخليفة نفسه هو الجدير بالنصح والمعاتب ، فالحق عنده فوق القراة وفوق السلطة معاً ، لما اجتماعا في أبيه الخليفة .

يرى عبد الملك أباه عمر مرة غاضباً غضباً لم يكظمه ، فعمل فيه مايعمل الغضب في الناس — وكان عمر فيه حدة تعين الغضب عليه إن اشتد — فلم يَهَبْ عبد الملك أن يرد أباه إلى القصد — بعد أن سكن غضبه — فقال له : ياأمير المؤمنين أنت في قدر نعمة

نفسه .

وقد سجل الإمام المروزي في كتابه (السنة) حواراً فريداً بين الخليفة عمر وبين ابنه عبد الملك يمثل روح تلك الأمة من الناس ، أمة خير القرون ، كيف كانت في أخذها للدين بقوة ، وفي إخلاصها لكتابها وسنة نبيها ، لانهاب فيهما العذاب ولا الموت ، ولكن مالنا نكثر الحديث عن الحوار وما فيه ، فنخل بين القارى وبينه ليشهد ما تحمله الكلمات من معان :

(أنبأنا خارجة بن عبيد الله بن عمر العمري قال : كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز عندنا فكنا نؤذيه ، فلما استخلف أبوه قدم علينا وهو ابن تسع عشرة سنة ، وأبوه يروض الناس على الكتاب والسنة وقد قطع بذلك ... فهو يداريهم كيف يصنع . فقال له عبد الملك حين قدم عليه : ياأمير المؤمنين ألا تمضي كتاب الله وسنة نبيه ، ثم والله ماأبالي أن تغلي بي وبك القدور ؟ فقال له : يا بني إني أروض الناس رياضة الصعب أخرج الباب من السنة ، فأضع الباب من الطمع ، فإن نفروا للسنة سكنوا للطمع ، ولو عمرت خمسين سنة لظننت أنني لأبلغ فيهم كل الذين أريد فإن أعش أبلغ حاجتي ، وإن مت فالله أعلم بنيتي) .

إخلاص الشباب واندفاعه في تطبيق مايراه حقاً ، وما يؤمن به صدقاً وحكمة الرجال التي تفهم طبائع النفس الإنسانية

ومواطن الضعف فيها ، فتعالجها رقيقة بها حريصة عليها ، حتى تصل بها إلى ماتريد ، ولرب دواء متعجل يورث داءاً متمكناً :

داويت مثدأ وداووا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء

وهذا عبد الملك يقدر قيمة سويغات الحياة — وكأنما يستشعر قصر عمره — فيحسب للحظة حسابها ، ويحث أباه على الصبر مع الرعية في متابعة شؤونها دون كلل أو ملل .. (عن ابن أبي عيلة قال : جلس عمر يوماً للناس فلما انتصف النهار ضجر ومل فقال للناس : مكانكم حتى انصرف إليكم . ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا : دخل . فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل قال : ياأمير المؤمنين ماأدخلك ؟ قال : أردت أن أستريح ساعة . قال : أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرون وأنت محتجب عنهم ؟ فقام عمر فخرج إلى الناس) .

وقد أبت حكمة الله سبحانه إلا أن ترتفع تلك الروح الطاهرة والنفس الشريفة إلى بارئها في حياة أبيها ، وعلى حين شام منها حسن الشمائل وصدق الدين وعلو الهمة ، فكان في ذلك الكثير من الخير خير للوالد الذي انضاف فقهه لابنه إلى ثقل حسناته في ميزان الله بإذنه ، وخير للولد إذ لم تصبه رذافات السوء التي تتأثر على

مازلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك
ولا والله ماكنت قط أشد سروراً ولا
أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك
في المنزل الذي صيرك الله إليه .
رحم الله عبد الملك ورضي عن أبيه
عمر بن عبد العزيز .

الأحياء — طوعاً وكرهاً — وإن جهدوا
في الطاعة .
وهاهو الخليفة عمر يعبر عن ذلك
حين دفن ابنه عبد الملك — الذي كان
في العشرين من عمره — فيقول :
(والله يابني لقد كنت براً بأبيك ، والله

